Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات

Volume 23 | Issue 1 Article 3

2022

Jordan's Feminine Autobiography: Sixty-five Years of a Jordanian Woman's Life: My Journey with Time “Najmiyya Hikmat as an Example”

Zead Bani Omar
ZeadBaniOmar@yahoo.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu

Part of the Arts and Humanities Commons, and the Social and Behavioral Sciences Commons

Recommended Citation

Bani Omar, Zead (2022) "Jordan's Feminine Autobiography: Sixty-five Years of a Jordanian Woman's Life: My Journey with Time “Najmiyya Hikmat as an Example”," *Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات*: Vol. 23: Iss. 1, Article 3.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/3

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

مجلة جرش للبحوث والدراسات المجلد 23 العدد 1، 2022، ص ص 53- 74

السيرة الذاتية النسائية في الأردن: رحلتي مع الزمن لنجمية حكمت أنموذجاً

زياد محمد جميل بني عمر*

ملخص

لم تحظ السيرة الذاتية النسائية الأردنية بكبيراهتمام من النقاد؛ ولهذا تتناول هذه الدراسة سيرة ذاتية نسائية أردنية تعد من أفضل السير الذاتية التي كتبت في الأردن ألا وهي "خمسة وستون عاما من حياة امرأة أردنية – رحلتي مع الزمن – نجمية حكمت" وقد سعت هذه الدراسة إلى عرض هذه السيرة وتحليلها ودراستها دراسة فنية تبين فيها جمالياتها، فتحدثت عن جماليات السرد واللغة والزمان والمكان وسيمياء العنوان.

وبالإضافة إلى إبراز القيمة الفنية لسيرة نجمية حكمت حاولت الدراسة كشف القيمة الاجتماعية والتاريخية لهذه السيرة؛ إذ حوت في طياتها كثيرا من القيم والعادات والتقاليد التي كانت سائدة في الأردن، ووكذلك أرخت لنشوء الدولة الأردنية منذ نشأتها حتى عام 1986م تاريخ كتابة هذه السيرة.

الكلمات المفتاحية: سيرة ذاتية، نسائية، نجمية حكمت، سيمياء، عرض وتحليل، الزمان، المكان، الوصف، اللغة.

© جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2022.

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة جرش، الأردن.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 1, Art. 3

Jordan's Feminine Autobiography: Sixty-five Years of a Jordanian Woman's Life: My Journey with Time "Najmiyya Hikmat as an Example"

Zead M. Bani Omar, *Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts, Jerash University, Jordan.*

Abstract

Feminine autobiography has not attracted critics. This study, consequently, deals with one of the best Jordanian women autobiographical works "Sixty-five Years of a Jordanian Woman's Life: My Journey with Time" by Najmiyya Hikmat. In this study, the researcher analyzes the aesthetic aspects in the autobiography's narration, language, time, place, and title semiotics.

The study also attempts to display the social and historical values in the autobiography which involves a plenty of Jordanian values and traditions. The autobiography also exposes the history of Jordan from establishment to 1986, year of the autobiography's birth.

Keywords: Autobiography, Feminine, Najmiyya Hikmat, Semiotics, Analysis, Time, Space, Description and language.

المقدمة:

لم تحظ السيرة الذاتية النسائية في الأردن بكبير اهتمام في الدراسات النقدية والأدبية، فمعظم الدراسات تناولت السيرة الذاتية بشكل عام، ولم تتناول السيرة الذاتية النسائية بشكل محدد، وربما اختارت بعض الدراسات نماذج لسيرة ذاتية نسائية، لكن تبقى دراسة أمل التميمي الدراسة الأميز إذ تناولت السيرة الذاتية النسائية في الوطن العربي،لكنها لم تختر أي أنموذج لسيرة ذاتية نسائية أردنية.

ويسعى هذا البحث إلى إلقاء الضوء على السيرة الذاتية النسائية في الأردن من خلال دراسة لسيرة نجمية حكمت خمسة وستون عاماً من حياة امرأة أردنية رحلتي مع الزمن، وعلى جمال هذه السيرة الذاتية لم تحظ بأي دراسة سابقة، وربما مرد ذلك أن نجمية حكمت لم تعنون كتابها بسيرة ذاتية، وسيقوم البحث بعرض وتحليل لأهم مفاصل هذه السيرة، ثم دراسة فنية لهذه السيرة متبعا المنهج التحليلي الاستقرائي.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/3 2

رحلتي مع الزمن – عرض وتحليل –

كتبت نجميةحكمت سيرتها الذاتية عام 1985م وتكونت من مقدمة وإحدى وعشرين لوحة أو عنواناً، بدأت بالرحلة من دمشق إلى عمان، وانتهت الآن المستقبل .. هو الماضي وعدد صفحاتها مئة وخمسة وتسعون صفحة من القطع المتوسط.

المقدمة: بينت فيها نجمية حكمت دوافعها إلى كتابة هذه السيرة فهي تقول: "الآن وبعد ان عشت في الأردن قرابة خمسة وستين عاما، أرى من واجبي ان أكتب وأسجل ما صادفته في حياتي، التي قضيتها، أجول في أنحائه، طفلة وشابة وأما وجدة. أكتبها ليعرف أبناؤنا وأحفادنا، من هذا الجيل والأجيال القادمة، الحياة التي عشناها، والمصاعب التي عانيناها الى أن وصلت بلادنا الى هذه المرحلة من التطور، والتقدم والعمران"[(1)].

إن الدافع إلى كتابة السيرة الذاتية قد يختلف من كاتب إلى آخر ولعل الدافع الذي ذكرته نجمية حكمت في مقدمتها ليس الدافع الوحيد فهناك دائماً دافع خفي يتمثل في رغبة الإنسان في التباري مع الزمن "يلتذ كاتب السيرة الذاتية أيما التذاذ بالتذكر وخاصة استحضار الذكريات البعيدة التي عوض أن تلقي عليها شيخوخته شيئاً فشيئاً سجف النسيان نجدها على عكس ذلك تزداد ألقا، نعني بذلك ذكريات الطفولة أو الشباب"[(2)].

السيرة الذاتية عادة ما يكتبها العظماء والمشاهير، ولكن نجمية حكمت في مقدمتها أرادت أن تبين أن من حق الناس العاديين أن يكتبوا سيرتهم "قد يقول البعض ان الحياة الجديرة بالتخليد والتأريخ والتدوين، هي الحياة الحافلة بالاحداث العظيمة للناس العظماء... حسنا... ولكن، ماذا عن حياة الناس الآخرين، الناس العاديين الذين تعمر قلوبهم القيم العادية المألوفة: الإيمان، والصبر والمفاهيم المستقرة للشرف، والخلق الكريم والتسامح والتعاطف مع الآخرين، والقناعة والرضا. هل من الضروري أن يؤرخ لحياة فئة من الناس متميزة، وتترك حياة الغالبية العظمى من الذين يعيشون حياتهم ببساطة وصفاء ونقاء ويخوضون معاركهم بصمت وصبر وكبرياء اليهم....

الى هؤلاء الذين يصنعون التاريخ الحقيقي للبشر، للغالبية العظمى من الناس العاديين من شعبنا، اليهم، اكتب هذه الصور ممثلة في حياتي نموذجا لحياتهم أو بعض فصول حياتهم.

أكتبها، بعيدا عن السياسة وعن الإثارة والافتعال، مدركة ان في حياة الناس العاديين البسطاء أشياء كثيرة مثيرة جديرة بالتخليد، ليس أقلها ايقاعها الرتيب المطمئن المقنع بالقضاء والقدر"[(3)].

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 1, Art. 3

إن نجمية حكمت في كتابتها لهذه السيرة إنما تحاول أن تعيد الروح إلى زمن مضى وانتهى، وقد أشار اديل ليون إلى مثل هذا حيث يقول: "كاتب السيرة يسعى إلى أن يبعث الحياة في ما بقي من مادة جامدة تخلفت وراء عبور إنسان ما لهذه الحياة الدنيا،فيسعى إلى أن يسترد ما كان بمثابة الروح والجسد والمشاعر ويصوغها على صورة ذلك الإنسان العابر "[4].

اللوحة الأولى: الرحلة من دمشق إلى عمان

في هذه اللوحة تصف الرحلة من دمشق إلى عمان، لكنها لا تذكر عن دمشق شيئاً، فحياتها تبدأ من عمان، فهي تؤكد ذلك فهي لا تذكر حتى الرحلة في القطار ومسيرها، لكنها تتذكر لحظة الوصول إلى عمان واستقبال عمها وزوج أختها، وتصف مكان سيرها، ثم تبدأ رحلة التنقل داخل عمان من منزل عمها إلى منزل مستقل في منطقة المهاجرين، ثم إلى منزل في صويلح وبعد ذلك الرحيل إلى الأغوار في الشونة وأهم ما يحدث في هذه اللوحة صورة عمان والتي بدت بسيطة بدائية البيوت من الطين ووسيلة النقل الأساسي عربات الشركس ولا كهرباء بها. ولكن تبدو عمان أكثر جمالا وتطورا بعض الشيء عند انتقالهم لمنزلهم في الشابسوغ، واشتريا فوتغرافا وبعد ذلك سيارة وتركز في هذه اللوحة على وصف يوم العيد وما به من بهجة.

اللوحة الثانية: زيارة الجدة

تبدأ هذه اللوحة بوصف القطار، والذي كان أكثر إثارة للصغار – في ذلك الوقت – بأصواته وهديره وارتباطه بقدوم زائر أو زوار من دول مجاورة للأردن، والزائر هذه المرة تمت له طقوس مختلفة تتسم بالوقار والهيبة والاحتفاء، وقدوم الجدّة لحضور ولادة شقيقتها الكبرى، وتعرض نجمية حكمت بأسلوب سلس طقوس الولادة والاهتمامات بها في ذلك الوقت. وتذكر في لوحة زيارة الجدة بناء بيت جديد من الحجر النظيف مقابل حي الضباط، ويتضح من هذه اللوحة أن عمان بدأت تظهر فيها البيوت الجميلة والواسعة وذات الحدائق.

اللوحة الثالثة: السينما في عمان

تتحدث نجمية حكمت في هذه اللوحة القصيرة عن افتتاح دار للسينما في عمان بينة أنها كانت صامتة ومكشوفة، وعرض لشارلي شابلن وهذه اللوحة على قصرها إلا أنها ذات أهمية إذ تؤرخ لبدايات السينما في عمان وفي تقديري أنها كانت عام 1926م ويستنتج ذلك من خلال سياق الحديث حيث كانت نجمة حكمت في الخامسة من عمرها وقت افتتاح دار السينما،وقد بحثت عن بديات السينما في عمان عبر شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي فوجدت خلافا كبيرا حول البدايات ولكن من خلال حديث نجميه حكمت نتبين أن البدايات كانت عام 1926م حيث كان عمر نجمية حكمت خمس سنوات.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/3 4

اللوحة الرابعة: البدء في الدراسة

تبين في هذه اللوحة أنها بدأت الدراسة على يد والدتها في البيت لعدم وجود مدرسة في المنطقة ثم التحقت في مدرسة أنشأتها إحدى زوجات الضباط في المحطة وكانت شغوفة بالتعلم والدراسة.

اللوحة الخامسة: زلزال عمان الكبير

تحدثت عن الزلزال الكبير الذي ضرب عمان عام 1926م والذي جعل بعض البيوت تتهاوى وهرب سكان عمان إلى الحقول والبساتين ونصبوا الخيم وأهم ما في هذه اللوحة وصفها للباس النساء في ذلك الوقت والمتمثل بالحجاب ولا يظهر إلا الوجه والكفين والأغلب محجبات الوجه.

اللوحة السادسة: الرحيل إلى جرش

تصف الرحلة إلى جرش وكانت هذه المرة في السيارة ويطغى على لوحة جرش وصفها لجمال جرش في الربيع "واكتست جرش حلة خضراء تتناثر في أنحائها مختلف الأزاهير والورود البرية"[(5)].

ويغلب على لوحة جرش وصف البيت الشركسي وترتيبه ونظافته، وإتقان عمل المرأة الشركسية فبدت المرأة الشركسية كمصنع شامل فهي طباخة وفلاحة وخياطة،إنها تبدع في كل شيء، وتحدثت عن زلزال ضرب مدينة جرش لكنه لم يلحق أضرارا.

ولم تمتد الإقامة في جرش سوى عام بعد أمر النقل إلى عمان وينتقلون للعيش في بيت على طلعة بسمان وتدخل مدرسة عمان للإناث، وتصف بنات المدرسة بأنهن محجبات، وتشير إلى كبر سن الطالبات فهن في الثامنة والتاسعة عشر في الصف السادس.

وتنتقل إلى مادبا بعد عام من عودتهم من جرش لتنتقل إلى مدرسة الروم الكاثوليك للبنات وبعد عام تمت العودة إلى عمان. ويلحظ القارئ هنا كثرة التنقل وعدم الاستقرار وهذا سببه عمل العسكر الذي لا يستقر في مكان،ولعل هذا التنقل وتعدد الأماكن ما أكسبت هذه السيرة الذاتية عمقا وتنوعا فقد طافت صاحبة هذه السيرة معظم اماكن الأردن.

وينتقل اخوها إلى السلط،ولكن أمها تأبى مرافقته وتبقى في عمان وزوج أختها الوسطى، وتبقى الوحيدة في البيت، وتبدأ المشاكل مع زوج أختها الذي يطالب بعدم إكمال تعليمها.

اللوحة السابعة: الحجابان

تنتهي رحلة الدراسة وترضخ الأم إلى لطلب زوج ابنتها وتنتهي رحلة الدراسة حيث كان العرف السابق أن الدراسة للأولاد وليس للبنات.

وتبدأ بلبس الحجاب، وأصبحت سجينة المحبسين الحجاب والبيت وكانت تمضي وقتها في المطالعة وتعلم الموسيقا، وقد بدأت بإضراب عن الطعام والكلام وتم مراضاتها بجلب مختلف الكتب والمجلات لإرضائها،وهذه الكتب والمطالعات التي اكسبتها فيما بعد ثقافة واسعة، فقد كانت قارئة نهمة.

اللوحة الثامنة: الخطبة

فجأة تجد نفسها مخطوبة وتم الأمر بسرعة متناهية، ورغم رفضها إلا أنها فجأة ستصبح زوجه وتتقبل الأمر بصعوبة، وتنتقل إلى مدينة الزرقاء والتي تصفها بالبلدة،وتبين أن معظم سكانها من الشركس والشيشان والسوريين الذين اتخذوها حارة لهم والتي ما زالت تسمى حارة الشوام، والتي كما وصفتها اتخذت الطابع الشامي وكأنك في حي من أحياء الشام.

وتعكس هذه اللوحة مدى رخص ثمن الأرض والبيوت حيث باعوا ثلاث بيوت كان يملكها زوجها بنيت على ثلاثة دونمات بمئة دينار فقط بعد نقل زوجها إلى عمان.

وفي عمان يسكنون في بيت على طريق السلط بيت جميل من الحجر النظيف ومكون من ست غرف وصالة وفرانده، وأجرة هذا البيت السنوي ستة وثلاثون دينارا، وتذكر أن رطل السكر بخمسة قروش وكيلو اللحم بعشرة قروش وصفيحة السمن البلدي بدينارين، وأجرة الخادمة خمسة وثلاثون قرشا.

وفي هذه اللوحة تشر إلى أحداث سياسية، حيث الحياة لم تكن مستقرة فالاضطرابات والمظاهرات تعم العالم العربي كله من أجل فلسطين احتجاجا على المؤامرات البريطانية اليهودية من أجل تنفيذ وعد بلفور.

ورزقت نجمية حكمت طفلتها الأولى، وتبدأ بالشعور بنعمة الأمومة وتطير فرحا بذلك وخاصة أنها بقرب أهلها. وتنتقل إلى بيت على مطلع جبل اللويبدة المطل على وادي السير وكانت اجرته اربعين دينارا سنويا، وتم لومهم على الإسراف، وكان بيتهم هذا قريب من بيت بيك باشا قائد الجيش الأردني،وكان يسكن في بيت لعبدالله النمر، وتصف جمال وهدوء عمان وتضع ابنتها الثانية وولكن السعادة لم تستمر ونقل زوجها إلى الكرك.

اللوحة التاسعة: الكرك

استغرقت الطريق إلى الكرك من خمس إلى ست ساعات فالطرق غير معبدة، وتبدأ بوصف الرحلة بدقة والأماكن التي مرت بها وتنتقل من بيت إلى آخر حتى تستقر في بيت مناسب.

وتصف في الكرك القلعة والمدرسة الثانوية ولم تطل الإقامة وتم النقل إلى معان.

اللوحة العاشرة: إلى معان

في الطريق إلى معان تتوقف نجمية حكمت في بلدة مؤتة لتستدعي التاريخ وتستحضر الصور لمعركة مؤتة، وتتساءل كيف استطاع هؤلاء الصحابة بدافع من عقيدتهم فحاربوا وانتصروا،ونذرت في داخلها وهي حامل إن انجبت طفلا أن تسميه جعفرا تيمنا بجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وتستمر الرحلة إلى معان واصفة الأماكن والأودية بجرف الدراويش، وتصف كعادتها البيت الجديد وتتحدث عن طراز العمران في معان والذي يغلب عليه بيوت الطين، وتستغرب كيف أن أهل معان لا يحملون فكرة حسنة عن رجال الدرك، وليت نجميه حكمت ما زالت على قيد الحياة لنخبرها أن الفكرة لغاية الآن لم تتغير.

وتشير إلى أن معان المدينة الأردنية الوحيدة التي لم تجد فيها خادمة، وذلك للإحساس الكبير بالكرامة والكبرياء عند الرجل المعاني، وترزق في معان بطفلها الذكر الأول وسمته جعفرا، وتذكر أنها كانت سعيدة في معان وما زالت تحن إليها مع مرور الزمن، ويأتي النقل إلى العقبة.

اللوحة الحادية عشر: العقبة... العقبة

أثناء الرحلة تمر بمنطقة أبي اللسن والتي كانت مقر لقيادة قوات الثورة العربية الكبرى، ثم يمروا برأس النقب ومنها إلى "الحميمة" التي انتشرت فيها الدعوة العباسية وتشير أن لا شيء بها سوى الصخور البركانية السوداء، ثم تمر بوادي اليتم، وفي وادي اليتم تقف عند شجرتين من شجر الرتم بجانب بعضهما تدعى (ملاقي الايتام) إذ أن اخوين ضلا عن بعضهما زمنا طويلا والتقيا عند هاتين الشجرتين، وتمر بجدار (منط الخضراء) اشارة إلى البطل الأسطوري لتغريبة بني هلال،وتذكر أنها ذهبت عام 1982م إلى العقبة فوجدت أن هذه الطرق وهذه المعالم قد تغيرت وضاعت معالم أشياء كثيرة، وتستمر الرحلة إلى العقبة لتصل إلى القويرة واصفة جبالها. بعد ذلك تظهر صخرة (العقبة) "على الذين يريدون دخول العقبة أن يزيحوا هذه الصخرة (العقبة)"[(6)].

ثم يدخلون العقبة وتبدأ الرحلة مع بيت جديد من الطيين والخشب والحرارة العالية والذباب الذي يغزو المنزل،وتقوم بحملة تنظيف وترميم وتجديد اقفال ليصبح قابلا للحياة فيه، وتبدأ

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 1, Art. 3

بوصف العقبة والتي لا يزيد سكانها على خمسمائة نسمة يعيشون على صيد السمك، وكانوا يسمون الصياد حواتا والسمكة حوتا. أما شواطئ العقبة فكانت خالية إلا من بعض القوارب والحدائق الصغيرة زرعت بالخضار وكانت تدعى الحديقة (حفيرة) والقارب (قطيرة) ولم يكن فيها سوى ميناء واحد صغير (مرسى)، وميناء قديم يسمى الميناء الفرنسي، وكان الجالس على الشاطئ يرى الحدود مع السعودية ومصر، والأهم من ذلك أم الرشراش (إيلات)، ويصاب أولادها بالرمد ويقرر زوجها إعادتهم إلى عمان وتودع العقبة بالدموع وتقول بجمالها وجمال شواطئها، وتعود لعمان ويبقى زوجها وحيدا في العقبة، وبعد ثلاثة أشهر يتم نقله إلى الطفيلة ويزداد الأمر صعوبة؛ إذ يصعب اصطحابها إلى الطفيلة والتي تعد بلدة نائية، ولكنها تصمم على مرافقته، رغم أنها تعلم أن الطفيلة تعد منفى للموظف، وقد تصل إلى حد العقوبة، ولكنها تتعظ ببطلات روايات رافقن أزواجهن وتحملن المعاناة، وتبدأ رحلة الطفيلة والتي تستغرق عشر ساعات من المعاناة، وكعادتها تبدأ باستعراض الأماكن التي تمر بها، ويصلون بلدة (العينة) من قرى الطفيلة ويجلسون للاستراحة والغداء ويلتقون الشيخ الذي يحدثهم عن ابراهيم باشا وويواصلون المسير مرورا بالحسا وجبال الشراه واللعبان وصولا للطفيلة.

وتبدأ بوصف البيت بدقة، وتأتي الصدمة الأولى، ويطلب من زوجها الذهاب إلى معان لقيادة المنطقة مؤقتا لمرض قائدها. وتبدأ رحلة الخوف والعذاب والبيت المسكون والمرأة التي جاءت لتؤنسها، فمجرد أن سمعت صوت المذياع حتى أصابها الفزع والجنون، وتعيش ليلة مرعبة، ويعود زوجها بعد اسبوعين ليزول الرعب، وتبدأ العلاقات مع أهل البلدة وزوجات موظفيها، وينتشر مرض التيفوس في البلدة وثم أخذ الإجراءات اللازمة للحد من انتشاره، خاصة وأن المضادات والأدوية غير متوفرة، وانتشر المرض بشكل وبائي، وازدادت وساعد على ذلك سوء الحالة الصحية والفقر الذي تعانيه المنطقة، وحجرت الطفيلة وعزلت عن العالم ما يقرب الشهرين، وبدأ بالانحسار تدريجيا حتى اختفى تماما،ويحتل الألمان ليبيا، ويقتربون من العلمين، ويرسل زوجها في دورة لمقاومة الطيران. ويعودون لعمان لمدة شهر وبعد العودة إلى الطفيلة يأتي نقله قائدا للحرس الاميري، وكانت البلاد في حالة طوارئ، فالحرب على أشدّها بين البلقان ودول المحور، ويعود عدم الاستقرار رغم قرب عمل زوجها، إلا أن طبيعة عمله قائدا للحرس الأميري تأخذ كل وقته، وتنجب في تلك الفترة ابنها الثاني، ويمرض هذا الطفل بالتهاب حاد، ويأتي خلال ذلك نقل زوجها قائد لمنطقة إربد ويبقى ثلاثة أشهر في إربد وهم في عمان، ويجهز لهم بيتا وقبل أن يرحلوا إليه يأتي أمر نقله.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/3

اللوحة الثانية عشر: المهمة الغامضة

يكلف زوجها في مهمة غامضة لا يكشف عنها كأسرار عسكرية، ويسافر على رأس كتيبة في مهمة خارجية، وتنقطع أخباره وبعد أشهر تأتي رسائل، وأثناء ذلك إضافة لمرض الطفل يصيبه حرق وتزداد رحلة الألم والمعاناة ويعود زوجها في إجازة ثم يعود إلى السفر وتأتي المفاجأة.

اللوحة الثالثة عشر: الشلل... رحلة العذاب والأمل

يتعرض زوجها لحادث في مهمته السرية في العراق ويصاب بالشلل وتبدأ رحلة العذاب وفي الوقت نفسه الأمل، وتستمر بإصرار وعزيمة وعناية فائقة لزوجها المشلول، ورغم أن الحالة ميؤوس منها إلا أنه يبدأ بالتحسن التدريجي ويشفى ويعود للخدمة العسكرية ويعمل قائدا لمعسكر في عمان ثم ينتقل إلى صرفند في فلسطين وتأتيها طفلة جديدة أسمتها تغريد، وتتم ترقيته وتعينه قائدا لمنطقة معان.

اللوحة الرابعة عشر: معان.. مرة أخرى

رحلة في القطار إلى معان وتبدأ - كالعادة - بوصف البيت، والذي يعد أجمل البيوت التي سكنتها عبر رحلتها، ويدخل الأولاد المدرسة والمعاناة في معان تكمن في كثرة الضيوف وخدمتهم وهم عادة من كبار الشخصيات، وعلى راس هؤلاء الضيوف الأمير عبد الله، وتذكر أنه اعجب بوليمتها، ومن الزوار كلوب باشا قائد الجيش، وتذكر في هذه اللوحة كيف أن الوحدة لم تعد تخيفها؛ إذ كبر أولادها وأخذوا يسلونها.

اللوحة الخامسة عشر: الحريق في معان

معان تضيء بشكل عجيب، وبعد تحقق تبين أنه حريق هائل أصاب كازية وكالة شيل. ويهرع الأهالي لإخماد النار، ويصيب الناس الهلع خوفا على أبنائهم وعلى محلاتهم التجارية والتي كانت ملاصقة للكازية وأصبحت هذا الحريق واقعة يؤرخ بها، ويستمر في هذه اللوحة الحنين إلى العقبة حيث يذهبان كل يوم خميس لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في فندقها المحاذي للشاطئ، وكذلك زيارة وادي موسى وعيونه والتي جزمت أنها من العيون التي انفجرت لموسى عليه السلام، وتبقى زيارة البترا في نفسها إذ لم تستطع الذهاب إليها. وتحدثت عن غزو الجراد للجنوب وكانت سنة محل وقحط والفقر شديد وقدمت الدولة المساعدات للمواطنين.

اللوحة السادسة عشر: معان... وداعا

تصف الوضع في معان بالبؤس والفقر، ولكن أهلها يمتازون بالقناعة الراسخة والدائمة والتسليم بقضاء الله، البيوت من الطين باستثناء عدة بيوت ومخازن، وتغير حال المنازل بعد

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 1, Art. 3

السيول عام 1966م حيث جرفت معالم البيوت، ويأتي قرار النقل، وتتكدر كثيرا لأنها تحب مدينة معان لدرجة لا توصف؛ حيث البيت قريب وواسع والمدارس قريبة، ويتوجهون نحو عمان لتمضي شهرا ثم تسافر الى الكرك، وفي الكرك تبدأ احداث اليهود مع فلسطين، والبريطانيون يسهلون الأمور لليهود رغم أن اليهود اعتدوا أكثر من مرة على الجنود البريطانيين وقتلوا بعضهم.

وكان الثوار العرب يهاجمون المستعمرات اليهودية ويحرقونها، وكانت هناك عمليات مقاومة، ويعلن في هذه الفترة تأسيس المملكة الأردنية الهاشمية، وبعدها بأشهر انسحب الجيش البريطاني من فلسطين تاركا إياها ليد اليهود.

ويرزقوا في الشهر الأخير من عام 1948 بغلام جديد ويرفع زوجها إلى رتبة مقدّم وكانت تنتشر الاضطرابات والمظاهرات وتشتد المقاومة الفلسطينية العربية وينطلق المقاومون من الأغوار الجنوبية، ويرسل اليهود شخصا يطلب من زوجها منعهم من الدخول والتشديد عليهم، ولكنه يرفض، وتذكر أنه من العجيب أن الشخص الذي أرسله اليهود فلسطينيا ويعود ليخبراليهود برفض زوجها منع الثوار وترفض ذكر اسمه، ويعود بعد شهر لنفس الطلب وأنهم سيشكون زوجها للمندوب السامي، ولكن زوجها لا يأبه لذلك، ولم تذكر اسمه حفاظا على سمعة أبناءه وأحفاده الذين يعيشون بيننا، ويأتي كلوب باشا لزيارتهم ليشكر زوجها ويقدم عروض فيها ترغيب لمنع المقاومين العرب، وبعد سفر كلوب باشا يأتي القرار بإحالته على التقاعد، ويبدو أن ضريبة الوطنية دائما غالية، وبعد هذا التقاعد يصر زوجها على العودة إلى سوريا.

ويعين في وظيفة شبه مدنية مديرا للمهاجرة والسفر، ولم يستمر بها طويلا إذ طلب منه أن يلبس اللباس العسكري بصورة فخرية، ويقرر العودة إلى سوريا.

اللوحة السابعة عشر: إلى سوريا

وتتزامن العودة إلى سوريا مع أفواج اللاجئين الفلسطينيين ومغادرة عمان تشعرها أنها شجرة اقتلعت من جذورها، وهنا تذكر المناطق التي تمر بها ذكرا لا وصف فيه، ويبدو ذلك لأنه يخيم عليها الحزن ولا تريد مغادرة الأردن، وتصل بلد زوجها إدلب لتنتهي غربة زوجها وتبدأ غربتها، ويتم استقبالهم استقبالا حافلا، فعائلة زوجها عائلة مشهورة ومعروفة، وبدأت بوصف بيت والد زوجها الواسع والكبير، والذي كان قصرا عربيا فاخرا يتناسب وتاريخ العائلة ومجدها التليد، وتسهب في الحديث عن أجواء العائلة الجديدة، فتتحدث عن العمات والجواري والسهرات والحفلات، ورغم محبة الجميع لها إلا أنها لم تتكيف مع الوضع الجديد ويبقى قلبها معلقا بعمان، وتنتقل إلى بيت مستقل تم إعداده بعناية وتمرض مرضا شديدا عجز الأطباء عن مداواتها وهو روماتيزم القلب.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/3

اللوحة الثامنة عشر: الغريبة

يشتد المرض بها، ويتعمق الإحساس بالغربة لديها، وتتجد الجراح عندما يصفها عمها والد زوجها بالغريبة، ويتفجر الحنين بالعودة إلى عمان وإلى أهلها، والحقيقة أن مرضها ما هو إلا مرض لحنين العودة، ويزداد الحنين عند سماعها للأهازيج البدوية، ذكرتها بأهازيج بدو الأردن وهم عمال من البدو جلبهم والد زوجها لقطف الزيتون، وتبين أنهم على غير عادة الأردنيين لا يقطفون الزيتون إلا بعد أن تمطر الدنيا عليه، ولحنينها إلى الأردن تنثر الحلوى فوقهم.

ويشاركها زوجه بإحساس الغربة وندمه على العودة إلى سوريا، لكنه أصبح في ورطة لا يستطيع الانسحاب منها، فقد ألف حياة الأردن بعدما أمضى فيها أكثر من ثلاثين عاما. وتأتي زيارة زوج أختها المفاجئة، ويذكر لها مرض والدتها والتي كانت متعلقة بها، ويثير لها رغبة العودة، وتقرر وزوجها العودة.

اللوحة التاسعة عشر: العودة

العودة إلى عمان لرؤية والدتها يرافقها زوجها على أن يعود بعد ذلك، لكنهما يبطنان عدم العودة، ويتم لهم ما أبطنوا ويعين مديرا لمؤسسة عسكرية مدنية، ويعتذران من الأهل في سوريا، وتتم العودة الدائمة للأردن، وينتقلان إلى الزرقاء، وتذهب إلى سوريا لشعورها بالذنب تجاه أهل زوجها وتعتذر منهم وتطيب النفوس، ويكبر الأولاد، ويدرسون في انتظام، وتبدأ مواهبهم الأدبية والشعرية، وتبدأ السعادة ترفرف عليهم، ولكنهم يفجعون باغتيال الملك عبد الله ويخيم الحزن على المملكة، ويتولى الملك طلال الحكم، ثم يتولى الملك الشاب الحسين بن طلال مقاليد الحكم، ويكمل بعض أولادها الثانوية وينتقل ابنها الأكبر لدراسة الحقوق، وتخطب ابنتها الكبرى وتتزوج، ثم تتبعها أختها الوسطى لشقيقه، وكان نشطا في الحقل السياسي، ويلجأ إلى بلد شقيق ثم يلتزموا بزواجه خارج الأردن.

اللوحة العشرون: أرملة ثم ثكلى

وفجأة وبدون سابق إنذار يودعهم زوجها بعد تعرضه لنوبة قلبية رغم صدور بعض التصرفات الغريبة والتي توحي بدنو أجله، وتصاب بيأس شديد، ولكنها تستجمع قواها، فمشوارها طويل وخلفها مسؤوليات جسام وتشعر بفراغ كبير، ولكنها تعيد ترتيب الأسرة والمسؤولية بين أبنائها، وتكلف ابنها الأكبر بالمسؤولية إلى جانبها خلف لوالده، وتبقى مشكلة ابنتها المسافرة والتي لا تعلم بوفاة والدها، وتعكس هذه اللوحة الظروف السياسية السائدة، وصدور عفو عن زوج ابنتها، ويعود إلى الزرقاء مع ابنتها، ثم يذهبوا إلى الكرك فيحتفل به احتفالا من معظم الأهالي، وينجح ابنها الأكبر في عمله في مكتب المحاماة ويساعدها على أعباء الحياة، وتفجع

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 1, Art. 3

بوفاة ابنها الأوسط ولم يبلغ العشرين ويصيبها الحزن الشديد، فقد كانت مولعة به، ووجدت في طفلها الصغير تعويضا عنه فقد كان يشبهه، وتحدث أحداث كثيرة كنجاحات الأبناء وسفر أحدهم إلى انجلترا للدراسة، وتنجب ابنتها طفلا، وتتزوج الصغرى من شقيق زوجة أخيها، وفي هذه اللوحة تحدث أحداث أيلول الأسود، وذهبت إلى الكرك اثناء هذه الاحداث، وبعد العودة من الكرك وجدت أن أضرارا كثيرة لحقت في مكتب ابنها والبيوت.

وتعود الحياة إلى طبيعتها ويعين زوج ابنتها وزيرا وبعد ذلك ينتقلون للسكن في عمان في المحطة، ولكن مع إصرار ابنها الأكبر يعودان إلى الزرقاء ثم تأتي الفجيعة بموت زوج ابنتها، وتدخل ابنتها في حالة يأس فتقف بجانبها ثم تتجاوز المحنة، وتتسارع الأحداث وينهي ابنها الأصغر الثانوية ويتوجه إلى مصر لدراسة الهندسة، وتزور مصر ومعالمها التاريخية وتقف متأملة عند كل زيارة ومعلم، وتعود من مصر حاملة ذكريات جميلة وعدد كبير من الكتب، ويتولى ابنها الأكبر منصبا كبيرا من مناصب الدولة، ويستقيل ابنها الأوسط ويتفرغ للمحاماة، ويتخرج ابنها الأصغر مهندسا متفوقا، ويعمل في الجمعية العلمية الملكية، ويتزوج من إحدى العائلات العريقة، ويسافر في بعثة إلى هولندا وتسافر وإخوته إلى هولندا مرورا بباريس، وتعجب بباريس، وتزور كل معالم باريس رابطة ذلك بمشاهير الأدباء الذين قرأت لهم، وتصل هولندا وتصف مزارعها الجميلة، وكذلك بيوتها الجميلة ووبعد عام من عودتها إلى الأردن يتخرج ابنها ويعود ليعيشوا جميعا ببيت واحد وبعد عامين يعين ابنها وزيرا للمرة الثانية.

وتمض الأيام وتسير بيسر، ولكن المرض يهاجمها وكأنه في هدنة معها لتكمل سفرها ورحلتها

اللوحة الواحدة والعشرين والأخيرة: الآن... المستقبل هو الماضي

تجلس في تأمل الآن فتسترجع الذكريات التي تضنيها وتصهر جسدها وقلبها المتعبان، وتشعر في حالة من الرضى، فقد أدت رسالتها ولكنها لم تشعر بالأشياء شعورها في الماضي، وكأن كل شي قد تبدد وتتساءل هل الأشياء تبدلت أم هي التي تغيرت، وتتشابه عندها الأيام، فالمستقبل الذي كانت ترجوا أصبح ماضيا والماضي أصبح مستقبلا وأصبحت في حلقة مفرغة، وتختم بقولها "ولكن مهما تكن النتيجة فإن جهودنا لن تذهب هباء لأن في الرحلة بين الذكريات أي ذكريات الماضي ما يساعد على إثبات هويتنا ووجودنا. وسنتمكن على الأقل من أن نقول للآخرين ما كنا نريد قوله في الماضي ولم تسعفنا الظروف لقوله ونقوله للناس أو لأنفسنا وإن لم يصغ لنا أحد لأننا نريد أن نؤكد لمن حولنا بأنه كان لنا وجود حقيقي بل ربما قلنا بثقة واعتزاز أكبر". "هكذا كنا نحن وهكذا كانت حياتنا فماذا عن حياتكم انتم".

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/3 12

الدراسة الفنية:

بعد هذا العرض لهذه السيرة الذاتية ومحاولة الوقوف على أهم مفاصلها؛وكي تتضح الصورة للقارئ، نخلص إلى الملاحظات التالية والتي تكشف جماليات البناء الفني لهذه السيرة بعد القراءة المتأنية لسيرة نجمية حكمت

أولا: سيمياء العنوان والعناوين الفرعية

العنوان الرئيس: خمسة وستون عاما من حياة امرأة أردنية رحلتي مع الزمن.

جاء العنوان مركبا الجزء الأول عبارة المقدمة (65 عاما من حياة امرأة أردنية) فذكرها لـ (65 عام) يوحي بوقع الزمن بل شدة وقعه على نفسها ومن هنا شعرت بالحاجة إلى البوح وتقديم آخر ما لديها في هذه الحياة الحافلة.

و(من حياة امرأة أردنية) هنا تحديد لهويتها وانتمائها وأنها أردنية لا سيما أنها من أصول غير أردنية، ونلحظ في ذلك في ثنايا سيرتها الذاتية، فهي تؤكد في أكثر من مناسبة على ذلك، وكذلك نلحظ ذلك عند عودتها مع زوجها إلى سوريا كيف شعرت أنها غريبة وأصابها المرض حتى عادت إلى الأردن.

أما الجزء الثاني (رحلتي مع الزمن)، فسيرة نجميه حكمت هي رحلة حقيقية فقد طافت جميع مدن الأردن ولم تستقر في مكان منذ كانت طفلة فحياتها في ترحال مستمر مع الزمن؛لأن للزمن سطوته وأحداثه الكثيرة في هذه الرحلة، وأعتقد جازما أن نجميه حكمت واعية كل الوعي لدلالة العنوان، بل دلالات العنوان.

أما العناوين الفرعية فجاءت بعضها مرتبط بالمكان وبعضها الآخر مرتبط بالحدث،والعناوين التي ارتبطت بالمكان بلغت أحد عشر عنوانا، والمرتبطة بالأحداث عشرة عناوين.

فالمرتبطة بالمكان هي (الرحلة من دمشق إلى عمان،السينما في عمان،زلزال عمان الكبير، الرحيل إلى جرش، إلى الكرك، إلى معان، العقبة... العقبة، معان.. مرة أخرى، الحريق في معان، معان وداعا، إلى سوريا) أما المرتبطة بالحدث فهي (زيارة الجدة،البدء في الدراسة، الحجابان، الخطبة، المهمة الغامضة، الشلل... رحلة العذاب والأمل، الغريبة.. !، العودة، أرملة ثم .. ثكلى، الآن .. المستقبل هو الماضي).

فالعناوين التي ذكر فيها المكان، كان المكان هو المسيطر عليها، وإن كانت مفعمة بالأحداث، وهناك تداخل فيها فأحيانا تذكر الحدث المقترن بالمكان، أما المعنونة بأسماء الأحداث فكان الحدث هو المهيمن وهو حدث مفصلي وعلامة فارقة في حياة نجميه حكمت.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 1, Art. 3

ثانيا: تعد سيرة نجميه حكمت وثيقة تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية؛ إذ أرخت للأردن منذ عام 1923م حتى نشر سيرتها وقد استطاعت أن تنقل لنا مراحل بناء الدولة الأردنية وتطورها، وكذلك عكست العادات والتقاليد ونمط الحياة والمعيشة وطبيعة البناء والمساكن، وطرق عيشهم وكسبهم وذكرت أهم الأحداث السياسية التي عايشتها وهي كثيرة "إن كتاب "خمسة وستون عاما من حياة امرأة أردنية" هو سيرة ذاتية حوادثها متداخلة مع أحداث تاريخية مهمة وهو تسجيل لأهم الحوادث والمشاهد التي مرت بالمملكة"[7].

وأهم ما يميز هذه السيرة أن معظم ما كتب من أعمال أدبية قصرت حديثها عن عمان أو لنقل عن مكان واحد فـ"سيرة مدينة عمان في الأربعينيات" لعبد الرحمن منيف فرغم جمالها وروعتها إلا أنه تحدث عن عمان فقط وفي فترة زمنية محددة وقصيرة[8] وكذلك رواية أبناء القلعة لزياد القاسم[9]، أما نجمية حكمت فقد طافت كل أرجاء الأردن متحدثة عن طبيعة مدنها وقراها، لأنه بحكم التنقل والترحال عاشت فيها ووصفتها وصفا دقيقا.

ثالثا: شخوص سيرتها الذاتية

شخوص سيرة نجمية حكمت كثيرة ومتعددة فشخصيتها هي محور الحدث وهذا المعنى من السيرة الذاتية.

وهي تتحدث عن شخصيتها في كل مراحل العمر طفلة وزوجة وأما وأرملة وثكلى، ومرحلة التحدي وإثبات الذات. وكل مرحلة من مراحل عمرها ربطتها بالأحداث والأماكن.

أما الشخصيات الأخرى في سيرة نجميه حكمت فهي كثيرة كشخصية الأم والجدة والزوج والأخوة والأبناء والبنات وأزواج البنات، والد زوجها وعماته، والخدم والشخصيات العابرة.

لكن الملفت أن نجميه حكمت لم تذكر أسماء شخصياتها إلا نادرا ولم تهتم بذلك، بل كانت تهتم بما صنعته هذه الشخصيات من أحداث فدائما الشخصيات عندها مرتبطة بحدث ولا يهمها اسم الشخصية وإنما يهمها دورها في صنع الحدث، فأسماء ابنائها وبناتها لم نعرف منها سوى اسم ابنها الأكبر (جعفر)[10] فقد نذرت اسمه متأثرة بذكريات معركة مؤته، والاسم الثاني هو اسم ابنتها تغريد وقد ذكرتها لأنها تعتقد أنها أول من اسمت بنتها بهذا الاسم في الأردن، وقد ذكرت الاسمين لمرة واحدة اما في باقي سيرتها فكانت تذكر بالأكبر والأوسط والأصغر.

وأسماء اخوانها لم تذكرهم مطلقا، وأسماء أزواج بناتها لم تذكرها، وإنما ذكرت أنهم من كبار العائلات في الكرك، لم تذكرهم مع أن منهم من كان وزيرا، أما الشخصيات الهامة فكانت تذكرها كالملك عبدالله الأول وكلوب باشا فهؤلاء ذكرتهم بالاسم لأنهم شخصيات عامه، وعندما تتحدث عن شخصية ما فإنها ترسمها بدقة وعناية؛ لكي تتضح الصورة للقارئ، فإذا ما أرادت ان

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/3

تصف شخصية – ولو كانت عابرة في حياتها – تصفها بدقة متناهية، ففي وصفها للام الشركسية في جرش أسهبت في الحديث عنها وعن دورها في الحياة وكيفة ترتيب البيت والعناية الفائقة ومصنوعاتها فبدت كأنها مصنع متكامل في الإنتاج والاكتفاء الذاتي[11].

رابعا: اللغة والسرد.

استخدمت نجمية حكمت ضمير المتكلم كثيرا وهذا جعلها مركز الأحداث وبقية الشخصيات تدور في فلكها، كما أحيانا تستخدم ضمير المتكلمين عندما يشاركها في الحدث أو القرار غيرها كزوجها "سرنا في طريقنا إليها ومررنا (بأبي اللسن)"[12].

"وهكذا تحركنا ذات صباح في طريقنا إلى سوريا"[13].

ويسيطر على سيرة نجميه حكمت استخدام الفعل الماضي، وهذا طبيعي في السيرة الذاتية؛ لأن الكاتبة تكتب سيرتها رجوعا من الحاضر زمن الكتابة إلى الماضي وهذا واضح في كل اللوحات فجميعها تبدأ بصيغة الفعل الماضي، ويرد كثيرا الفعل (كان) (وكنت) (وكنّا) وكذلك (سافرنا) (وسافرت) (ورحلنا) وإذا لم تبدأ لوحتها بفعل فإن عبارة (ذات يوم) تتكرر كثيرا[14].

واللوحة الوحيدة التي بدأت بصيغة الفعل المضارع هي اللوحة الأخيرة (الآن.... المستقبل هو الماضي) فقد بدأتها بالفعل المضارع (وأجلِسُ)

ثم تتوالى صيغة المضارع فتصبح هي المسيطرة وتتلاشى صيغة الفعل (الماضي) وهذا منطقي فاللوحة الأخيرة هي لوحة الحاضر؛ ولهذا وردت صيغة المضارع أكثر من ستين مره مع أن هذه اللوحة من أصغر اللوحات حجما ولا تزيد عن صفحتين إلا بضعة أسطر.

تسرد نجميه حكمت سيرتها الذاتية بأسلوب سهل وسلس بلغة فصيحة مبسطة، مما يجعلنا نتابع سردها للأحداث دون كلل أو ملل، ولعل مرد ذلك أنها كانت تقطع رتابة السرد بالوصف أحيانا وبالحوار حينا؛ لأن "الوصف في السرد حتمية لا مناص منها له؛ إذ يمكن، كما هو معروف أن تصف دون أن تسرد وولكن لا يمكن أبدا أن تسرد دون أن تصف، كما يذهب إلى ذلك جيرار جينيت وللوصف علاقة حميمية بالسرد، حيث يظاهره على النمو والتطور، كما يبدو، من بين يديه، كثيرا من الأسئلة التي قد يضفيها المتلقي على الخطاب السردي لو لم يتدخل الوصف لتوضيحها"[15].

ونجمية حكمت عندما تلجأ للوصف تجعلنا نعيش اللحظة التي عاشتها بكل تفاصيلها، فتصف الأماكن التي زارتها وكذلك الأشخاص، وأحيانا تسهب في الوصف عندما يسحرها المشهد، فها هي تصف المرأة الشركسية ربة المنزل في جرش وعملها المتقن فتقول "وكان المكان نظيفا..."[16].

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 1, Art. 3

هي لا تقف هنا على المشهد الخارجي للصورة والحدث، بل تعمقت لأن "التعامل مع الحدث والصورة يتطلب فهما عميقا للعلاقة الحيوية بينهما؛ إذ إن الحدث ليس مجرد تعاقب زمني يأخذ صورة أفقية، بل يغوص في عمق اللحظة التي يتشكل فيها، والصورة أو المشهد ليس وصفا خارجيا محايدا"[17].

ونجدها مولعة بوصف الأثاث وترتيبه، ويبقى قلبها معلقا به يرافقها - رغم صعوبة النقل آن ذاك في تنقلاتها - "كان زوجي قد رتب ووزع الأثاث على الغرف قبل مجيئي فوضع فيها الأسرة الكبيرة وكذلك سريرى الطفلتين مع عربة الطفل ودولاب الملابس وبقية اثاث غرفة النوم"[18].

"ووجدت البيت مفروشا مرتبا وقد وزعت جميع قطع الأثاث في الغرف المخصصة لها حتى الستائر كانت قد علقت والمدافيء موزعة في انحاء البيت وكلها تشع بالدفء والحرارة فقد كان الفصل شتاء"[19].

وحتى لما سافروا إلى سوريا أخذت الأثاث معها "كانت تقدمنا سيارة الشحن الحاملة لأثاثنا"[20].

ولهذا فإن وصف الأثاث عند نجمية حكمت لم يأتِ عبثا فهي كانت تدرك عمق دلالة الأثاث لأن "وصف الأثاث والأغراض هو نوع من وصف الأشخاص الذي لا غنى عنه فهناك أشياء لا يمكن أن يفهمها القارىء ويحسها إلا إذا وضعنا أمام ناظريه الديكور وتوابع العمل ولواحقه"[21].

ومما جمل أسلوب نجمية حكمت السردي تخصيبها لنصها السردي بالتاريخ والتراث، فكانت كثير ما تستدعي التاريخ والتراث فتعيد للمكان وهجه وللزمان ألقه "وبقيت أنا في السيارة أنظر حولي وكان يواجهني مقام الصحابي الجليل وابن عم الرسول (ص) جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وأخذت اتأمل ما حولي والأفكار تتوارد وتستحضر الصور عن المعركة وعن الجيوش الإسلامية التي اجتازت الصحارى والقفار دون ماء وعلى الأقدام حتى وصلت إلى هذه البلاد وخاضت المعارك الطاحنة مع أعدائهم وحلفاء أعدائهم والذين كانوا يحتمون بحصونهم وقلاعهم ولا يعوزهم اللباس ولا المأكل والماء"[22].

ثم عندما تمر بالحميمة تستذكر الثورة العباسية[23] وهي دائمة السؤال عن أسماء الأماكن والتي ارتبطت بقصص وسير شعبية، كمنط الخضراء ووادي اليتم[24].

خامسا: الزمان والمكان:

الحديث عن الزمان والمكان مترابط، ويجب ألا ينفصل لأنهما متلازمان لا ينفصلان، فالزمن والحدث مرتبطان بالمكان، "وعلى الرغم من أنهما متلازمان لا يفترقان، ومتقارنان لا يتزايلان؛

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/3 16

فإن جمهور الدارسين ومحللي الروايات يميزون بينهما على سبيل التيسير الإجرائي، وإلا فلا خبر بلا زمان، ولا زمان بلا خبر، ولا يجوز أن ينفصل أحدهما عن صنوه في العمل السردي"[25].

عند الحديث عن الزمان في سيرة نجميه حكمت نجد أن فضاء الزمان يسيطر على سيرتها منذ اللحظة الأولى فعنوان السيرة "خمسة وستون عاما من حياة امرأة اردنية رحلتي مع الزمن" محمّل بوهج الزمن، وكذلك ضغطه على نفسية نجميه حكمت، وقد أوضحت ذلك عند الحديث عن سيمياء

العنوان، فالزمن واضح، فهي تحدد بـ"خمسة وستون عاما" ثم تؤكد عليه مرة أخرى "رحلتي مع الزمن" فهاجس الزمن مسيطر على نجمية حكمت منذ البداية حتى النهاية. "وأجلس الآن في غرفة نومي وعلى سريري واغمض عيني واسترجع ذكريات أسفاري القديمة وسفرتي الأخيرة ولكن ذكرياتي القديمة تطفو دائما وتضنيني وتكاد تصهرني ويفعل الزمن فعله في جسمي المتعب ومع هذا فأني أجد معنى لحياتي في العطاء حيث استطيعه وبالتفاني في خدمة أبنائي وأحفادي والناس الذين حولي، واجد السلوى في القراءة والمطالعة المستمره لشتى أنواع الكتب من نتاج الفكر الإنساني أجد فيها عزاء واحيانا مهربا من واقعي وأفكاري"[26].

هاجس الزمن أثر على معظم المبدعين في شتّى مجالات الفن "عندما تكون طرق التفكير والشعور موسومة بميسم " هاجس الزمن في القرن العشرين "ينبغي أن نتوقع أن تكون أشكال التعبير الفني حاملة نفس الميسم. فالاهتمام بالزمن يتبدى في كل فن"[27].

أعتقد أن كاتب السيرة الذاتية تواجهه مشكلة كبيرة في انتقاء الزمن الذي سينقله ويتحدث عنه في سيرته الذاتية، فهو أمام زمن طويل ويريد أن يختار من هذا الزمن ما يناسبه وما يريد التعبير عنه فلا بدّ من اختصاره وتكثيفه حتى يستطيع جمع شتات الصورة التي يريد تقديمها للقارئ، فبالإضافة إلى الزمن الحقيقي هناك الزمن السيكولوجي أو الزمن الحسي "أي العلاقة الزمنية بين الذاتي والموضوعي فزمن الساعة لا معنى له للخيال ووإنما هو عرف كيفي متكلف جدا وضع لضرورة اجتماعية بغية تنظيم وتنسيق الأفعال... وإحساسنا بسرعة التجربة أو مدتها يقدر بمدلولات القيم فقط، ويقاس بزمننا الشخصي، بالزمن السيكولوجي، وإن كنا نسقطه لأغراض المقارنة على نقاط ثابتة من الزمن الاصطلاحي"[28].

وتظهر شدة وطأة الزمن على نجميه حكمت في لوحة (الشلل... رحلة العذاب والأمل) فبعد الشلل المفاجئ تبدأ رحلة العذاب في التعامل مع وضع جديد كله يأس وألم، وأصبح الزمن يحاصرها، فكانت تحس بثقل الزمن وشدته على نحو طويل وقاس، لكنها كانت تحاول أن تجمله وتقصره بالأمل[29] "وإذن فالمدة الزمنية من حيث هي كينونة زمنية موضوعية لا تساوي إلا

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 1, Art. 3

نفسها، ولكن الذات هي التي حولت العادي إلى غير عادي، والقصير إلى طويل؛ كما تعمد هذه الذات نفسها إلى تحويل الزمن الطويل إلى قصير في لحظات السعادة، وفترات الانتصار"[30].

ونلحظ تسارع الزمن في سيرة نجمية حكمت، فهو يتسارع ونجدها في سباق مع الزمن، ففترة الطفولة تمر عجلى وتتسابق معه في سنين الدراسة الأولى، وعندما تحس أنها سبقت الزمن، فيتوقف الزمن فجأة ليلطمها ويحطم آمالها، فتأتي الخطبة لتجولها من طفلة إلى زوجة "ولكن كل ذلك لم يمنع القدر من أن يأخذ مجراه، وفجأة وجدت نفسي في إطار الخطبة وتم كل شيء بسرعة مذهله وأعطوا لأهل الخطيب كلمتهم بالقبول ولم أعلم بذلك إلا يوم الخطبة"[31].

ثم يستمر الزمن بتسارعه وتصبح زوجة، ثم أما، وتسير رحلة الزمن بها وتتوقف فجأة أمام اختبار كبير في "الشلل..... رحلة العذاب والأمل" ثم تتجاوز المحنة وتنطلق المسيرة ويكبر الأولاد ويتسارع الزمن ويتوقف فجأة أيضا عند لوحة "أرملة ثم ثكلى" فموت زوجها المفاجئ، ثم موت ابنها "ومضت الأيام مريرة مرارة العلقم وأحسست بأني إذا اندحرت أمام مصيبتي وتهاويت سأقضي على نفسي وبالتالي على أولادي، وعزمت بعدها على مواجهة هزيمتي في معركة الحياة بصبر وعزم"[32].

وتستمر من جديد في رحلتها مع الزمن ورغم أن الزمن كان يخذلها دائما وهي في قمة النجاح، إلا أنها تستمر متحدية له لتصل إلى ما تريد.

وعلينا أن ندرك أن الايقاع الزمني في السيرة الذاتية لا يختلف عن الزمن في الرواية لأنه "يشكل ويرصد عالم الأمكنة والأزمنة والأحداث في حركتها وتغيرها وبنائها ودلولاتها ويرسم هذه الخطوط الاجتماعية المنتظمة فيما بينها، إلى شكل بناء الرواية ومعمارها وهندستها"[33].

أما المكان فحاضر في سيرة نجمية حكمت ويشغل جزءا كبيرا من ذاكرتها الشخصية، بل هي تتشبث به وتتوحد معه، فقد برز ذلك من خلال ذكر الكثير من الأماكن والتعلق بها، بمعطياتها وبكل تفاصيلها، وقد ذكرت أسماء الأماكن في أكثر من أحد عشرعنوانا من عناوينها الفرعية، بل إن سيرة نجمية حكمت في مجملها لوحات مكانية ارتبطت كل لوحة بمكان ولو جمعنا هذه اللوحات لتشكلت واكتملت حياة نجمية حكمت، والأماكن عندها أماكن مفتوحة وأماكن مغلقة، فأثناء سفرها وتنقلها كانت دائما تصف كل ما تشاهده في طريق رحلتها من جمال الطبيعة والتضاريس بكل تفاصيلها، وارتبط الوصف عندها بالمكان وهذا أمر طبيعي وكذلك تكثر من استخدام الأفعال والجمل (ركبنا، سافرنا، دخلنا، ركبنا القطار، ركبنا السيارة، دخلنا.....) "فمثل هذه الأفعال والجمل تحيل إلى عوالم لا حدود لها، وهي كلها أحياز في معانيها"[34].

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/3 18

وكانت تصف أثناء تنقلها كل ما تراه بدقة متناهية، وكثيرا ما تسأل عن تفاصيل المكان وأسباب تسميته –وكما ذكرنا سابقا – تستدعي التاريخ والتراث والخرافات لتعيد للمكان حيويته وألقه، فها هي تصف جبال القويرة كأنها القصور "ووصلنا القويره فشاهدت جبالها التي صفت بجانب بعضها البعض وكأنها قصور شيدت في الصحراء فقد كانت جبالا غريبة ورائعة في شكلها وتكوينها حتى ليخالها الرائي من بعيد وكأنها مدينة عامرة بقصورها وفيلاتها"[35].

أما وصفها للأماكن المغلقة فيتمثل بوصف البيت فقد سكنت في رحلتها مع الزمن عشرات البيوت، وكل بيت من هذه البيوت كانت تصفه بدقة متناهية، وبكل تفاصيله وتقسيماته، عدد الغرف، النوافذ، الأبواب، مداخله ومخارجه، وبعد أن تفرغ من ذلك تبدأ بوصف أثاثه، ولعل مرد ذلك أن نجمية حكمت امرأة والمرأة مملكتها بيتها "وصلت إلى المنزل الذي سيكون مستقري ونزلت اربع درجات عن مستوى الشارع ودخلت الى صالة صغيرة تحيط بها غرفتان وفي صدر الصالة دورة مياه مفتوحة على الصالة ولا باب لها سوى إطار خشبي"[36].

ولكن لا يمكن أن نكتفي بتفسير تعلقها بالبيوت وكثرة وصفها لها بكونها امرأة فقط، بل الأمر أعمق من ذلك؛ فكثرة الترحال وعدم الاستقرار في مكان واحد كان يسبب لنجمية حكمت قلقا وخوفا وهي تبحث عن الاستقرار، فكانت تتشبث بالمكان وتتوحد معه وتسعى إلى التأقلم معه فمعظم البيوت التي سكنتها كانت في البداية موحشة وغير لائقة، لكنها تهتم فيها وتعيد ترتيبها ثم تألفها وتصبح جزءا منها، ولكنها سرعان ما تتركها مرغمة وقلبها متعلق بها، وبقيت تحن لها طوال عمرها.

وقد اختلفت طريقة وصفها للبيت وللأثاث عندما تحدثت عن بيت وأثاث والد زوجها في سوريا فهي لا تصف لأنها متعلقة بالمكان، بل لتعكس لنا شخصية وطبيعة الحياة أهل زوجها الاقطاعيين[37]. وقد تم الإشارة إلى ذلك سابقا.

اختم بحثي بمقولة للناقد بيرسي لبوك "ليس ثمة شيء أو قوة تجعل كتابا معينا يظل ثابتا أمام أنظارنا حتى نتمكن من تفحص شكل بنائه، بل إننا كلما أسرعنا في قراءة هذا الكتاب، كلما تسلل من ذاكرتنا حتى في لحظة طي آ خر ورقة منه، فإن جزءا كبيرا منه أو أدق التفاصيل فيه، ستبدو معتمه تثير الشكوك"[38].

الخلاصة:

بعد هذه الدراسة لسيرة نجمية حكمت وعرضها وتحليلها تخلص الدراسة إلى ما يلي:

أولا: لفتت الدراسة الأنظار إلى وجود نماذج للسيرة الذاتية النسائية الأردنية تستحق الدراسة وإلقاء الضوء عليها.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 1, Art. 3

ثانيا: بينت الدراسة أهم ما في سيرة نجمية حكمت وما عكسته من قيمة تاريخية ومظاهر حضارية واجتماعية وسياسية، وكذلك عكست أهم العادات والتقاليد ونظام الحياة الذي كان سائدا ذلك الوقت.

ثالثا: كشفت الدراسة وبينت أهم عناصر البناء الفني لهذه السيرة وجماليات السرد واللغة، والوصف والزمان والمكان.

الهوامش

1. حكمت، نجمية، 65 عاما من حياة إمرأة أردنية – رحلتي مع الزمن،وزارة الثقافة الأردنية، 2011، ص7
2. ماي، جورج، السيرة الذاتية، ت. محمد القاضي وعبدالله صولة، تونس، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، ط.1، 1992، ص 56
3. حكمت، نجمية، ص 7-8
4. ادل، ليون، فن السيرة الذاتية، ت. صدقي خطاب، دار العودة، بيروت، 1988، ص17
5. حكمت، نجمية، ص39
6. 1- المصدر السابق، ص67
7. شهاب،أسامة يوسف، الأديبة الأردنية والفلسطينية كاتبة للسيرة الذاتية، 1947-1987، نماذج مختارة، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 36 ملخص 2019، ص 955-956.
8. منيف، عبد الرحمن، سيرة مدينة عمان في الأربعينات، ت. د. ابراهيم السعافين، مطبعة السفير، عمان، الأردن 2012.
9. القاسم، زياد، أبناء القلعة،وزارة الثقافة الأردنية، عمان، مطبعة السفير،2009.
10. حكمت، نجمية، ص 62
11. المصدر السابق، ص 37-38
12. حكمت، نجمية، ص 16
13. المصدر السابق، ص138
14. المصدر السابق، ص 27، 32،138
15. مرتاض، عبد الملك، خصائص الخطاب السردي لدى نجيب محفوظ (دراسة في زقاق المدق)، مجلة فصول، مجلد 9، العدد الثالث والرابع، 1991، ص 208.
16. حكمت، نجمية، ص 37.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss1/3 20

17. السعافين، إبراهيم، الأقنعة والمرايا دراسة في فن جبرا ابراهيم جبرا الروائي، دار الشروق، عمان، ط 1، 1996، ص 68.
18. حكمت، نجمية، ص 87
19. المصدر السابق، ص 124
20. المصدر السابق، ص138
21. بوتور، ميشال، بحوث في الرواية الحديثة، ت.فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط1،1971، ص 53.
22. حكمت، نجمية، ص 61
23. المصدرالسابق ص 16
24. المصدر السابق، ص 66
25. مرتاض،عبد الملك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد،سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1998، ص149.
26. حكمت، نجمية، ص193.
27. مندولا، أ.أ،الزمن والرواية، ت. بكرعباس، ط1، دار الشروق،1997، ص 17.
28. المرجع السابق، ص76-77.
29. حكمت، نجمية، ص 106 – 123.
30. مرتاض،عبد الملك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد،سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1998، ص 205
31. حكمت، نجمية، ص 49
32. المصدر السابق ص 165-166
33. الزعبي،أحمد، في الايقاع الروائي "نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية"،ط1، دار الأمل، عمان، 1986، ص 8
34. مرتاض،عبد الملك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد،سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1998، ص 124.
35. حكمت، نجمية، ص67.
36. المصدر السابق، ص69.
37. المصدر السابق، ص140-141
38. لبوك، بيرسي، صنعة الرواية، ت. عبد الستار جواد، دار الرشيد، بغداد، 1981، ص13.

المصادر:

حكمت، نجمية، **65 عاما من حياة إمرأة أردنية – رحلتي مع الزمن**، وزارة الثقافة الأردنية، 2011.

المراجع:

ادل، ليون، **فن السيرة الذاتية**، ت. صدقي خطاب، دار العودة، بيروت، 1988.

بوتور، ميشال، **بحوث في الرواية الحديثة**، ت. فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1971.

الزعبي، أحمد، **في الايقاع الروائي "نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية"**، ط1، دار الأمل، عمان، 1986.

السعافين، إبراهيم، **الأقنعة والمرايا دراسة في فن جبرا ابراهيم جبرا الروائي**، دار الشروق، عمان، ط 1، 1996.

شهاب، أسامة يوسف، الأديبة الأردنية والفلسطينية كاتبة للسيرة الذاتية، 1947-1987، نماذج مختارة، **دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية**، المجلد 36 ملخص 2019.

القاسم، زياد، **أبناء القلعة**، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، مطبعة السفير،2009.

لبوك، بيرسي، **صنعة الرواية**، ت. عبد الستار جواد، دار الرشيد، بغداد، 1981.

ماي، جورج، **السيرة الذاتية**، ت. محمد القاضي وعبدالله صولة، تونس، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، ط.1، 1992.

مرتاض، عبد الملك، خصائص الخطاب السردي لدى نجيب محفوظ (دراسة في زقاق المدق)، **مجلة فصول**، مجلد 9، العدد الثالث والرابع، 1991.

مرتاض، عبد الملك، **في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998.

مندولا، أ.أ، **الزمن والرواية**، ت. بكرعباس، ط1، دار الشروق، 1997.

منيف، عبد الرحمن، **سيرة مدينة عمان في الأربعينات**، ت. د. ابراهيم السعافين، مطبعة السفير، عمان، الأردن 2012.